مؤسسة الدراسات الفلسطينية
Institute for Palestine Studies
مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد 13، العدد 52 (خريف 2002)، ص 58
www.palestine-studies.org

محمد الحوراني:
لا بد عبر الحوار من إيجاد
سياسة فلسطينية واحدة،
بعيدة عن السياسات الفصائلية*

■ كيف يمكن رسم صورة الوضع الراهن وما يمليه من مهمات على السلطة و"فتح" والحركة الوطنية الفلسطينية عامة؟

□ يمثل الواقع الراهن منذ عامين، وعلى الرغم من تسمية الانتفاضة، حرباً غير متكافئة لمجتمع مدني فلسطيني في مواجهة قوات احتلال لديها جيش قوي واقتصاد قوي. وأعتقد أن تعبيرات الأزمة ستنعكس على الكثير من الصعد، وذلك يعود لسبب موضوعي يتعلق بالاحتلال، ولأسباب ذاتية تتعلق بمجموعة من المظاهر السلبية التي رافقت العمل الوطني. منها، مثلاً، غياب سياسة فلسطينية واحدة وشاملة يتم التوافق عليها، تحدد استراتيجيات وتكتيكات المنافسة للوصول إلى الأهداف البعيدة. بدلاً من ذلك، كان هنالك مجموعة من السياسات الفلسطينية. ولو افترضنا أن كل سياسة على حدة كانت صائبة، فإننا إذا ما جمعناها في سلة واحدة ستكون شيئاً غير مفهوم، وبالتأكيد ستنتج منها سياسة سيئة لا تسير في اتجاه محدد. لذا أعتقد أن أهم مفصل من المفاصل التي يجب أن يتناولها الفلسطينيون الآن هو إيجاد سياسة فلسطينية واحدة، بعيدة عن السياسات الفصائلية، ويتم التوافق عليها قدر الإمكان عبر حوار داخلي يحدد الواجبات والمسؤوليات. وإضافة إلى مشكلة وجود سياسات متعددة، لم يكن هناك جهد عقلاني يعتمد مبدأ الحسابات بالنسبة إلى استخدام وسائل النضال. ويبدو أن جزءاً من الحوار الذي دار في الساحة الفلسطينية قام على مبدأ "الأسود والأبيض"، ولم ينجح في التوصل إلى منطقة وسطى فيها توازنات.

كان هنالك عقلية تعاملت مع الانتفاضة بعاطفية شديدة، وعلى أرضية الغضب والمغامرة، وكان هنالك عقلية غير مقتنعة بالانتفاضة من حيث المبدأ، ولا ترى فائدة فيها، بينما كان هنالك عقلية ثالثة مختلفة، لكنها لم تستطع أن تؤكد أفكارها، ويتضح الآن أنها كانت صحيحة وصائبة. وكانت هذه العقلية تشدد على حقنا في النضال،

(*) أجرى المقابلة سميح شبيب.

وفي استعمال كل أداة نضالية ممكنة، لكن وفقاً للوضع والوقت الملائمين وفي المكان المناسب. الآن، ونحن على أعتاب العام الثالث للانتفاضة، علينا أن نسأل أنفسنا: هل نريد السير في طريق يجعل من هذه الانتفاضة انتفاضة دائمة، أم نريد استعمال الانتفاضة أداة نضالية للوصول إلى هدف سياسي محدد وقابل للتحقيق؟ مع العلم بأن الهدف الجيد هو الهدف القابل للتحقيق. وهذا سؤال مفصلي يضع الانتفاضة على مفترق طرق.

■ **في ضوء ما هو قائم، كيف ترون احتمالات المستقبل؟ وهل يمكن أن يتحول هذا الوضع إلى دولة؟ وفي ظل إمكان انهيار السلطة، هل في قدرة منظمة التحرير أن تعود لأخذ دورها كقائد شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني؟**

□ باتت الدولة الفلسطينية حقيقة من حقائق السياسة الدولية الراهنة، ولا يمكن القفز عنها مطلقاً، وهي أيضاً حقيقة من حقائق الوعي الإسرائيلي، وطبعاً هي مطلب شرعي طبيعي للفلسطينيين المتطلعين إلى الحرية والاستقلال. وحتى وجود هذه الدولة في الوعي الإسرائيلي لم يكن منّة ولا تعطفاً، ذلك بأن الطرف الفلسطيني أثبت أنه طرف عصيّ على التغييب، وكل المؤشرات تدل على أنه سيحصل على دولة. لكن السؤال هو: كيف سيعمل الفلسطينيون كي يحصلوا على دولة يرضى بها عدد كاف من الشعب الفلسطيني؟ لذلك أعتقد أن علينا إعادة تنظيم صفوفنا وتحديد أهدافنا. وأعتقد أننا عانينا في عامي الانتفاضة السابقين جرّاء مسألة تحديد الأهداف. خلطنا بين ما هو سياسي قابل للتحقيق، وبين ما هو ثقافي غير ممكن التحقيق.

في الواقع الفلسطيني هنالك فلسطين التاريخية، وهنالك بعض السياسات الفلسطينية التي ترتكز على مفاهيم تقول بأن خيارنا هو المقاومة حتى تحرير الأرض، وتعمل على تجذير هذه المفاهيم. علينا أن نكون واضحين أكثر ونفرّق بين الثقافة والمعتقد والإيمان وبين السياسة والممكن، وأن نأخذ في الاعتبار قدراتنا وقدرات خصمنا. لذا يجب أن يقوم البرنامج الفلسطيني على أساس الحقائق على الأرض، لا على أساس التمنيات. وأعتقد أنه يجب أن يقوم حوار داخلي للتفريق بين المفاهيم الثقافية والمفاهيم السياسية. لكن المشكلة تكمن في غياب مؤسسة الحوار ذاتها.

■ **عن هذه النقطة تحديداً يبرز سؤال كبير هو: ما دور "فتح" كمؤسسة سياسية وتنظيمية في برمجة ومنهجة الكفاح الوطني الفلسطيني الآن، وهل تحكمها علاقات ديمقراطية تمكنها من أن تؤدي دورها التاريخي والواقعي؟**

□ "فتح" هي كيان فلسطيني، ولهذا الكيان علاقات واسعة في العالم، ولا تقتصر

علاقاته على لون سياسي معين. له علاقات منفتحة ومتعددة. وعلى صعيد المجتمع الفلسطيني، تشكل "فتح" نقطة توازن ما بين الأصالة والحداثة على كل صعيد. لكن ما ينقص "فتح" في الواقع هو وجود فاعلية داخل أطرها، لتنتج سياسات. بصراحة، المؤسسة في الحياة الفلسطينية هي "الحاضر – الغائب": الحاضر عندما تدعوها، والغائب عند اتخاذ أي قرار. وربما كان ذلك من أهم أسباب نشوء أزمات متتالية في الساحة الفلسطينية. ومع ذلك أستطيع القول إننا في "فتح" نجري حوارات داخلية صريحة وواضحة، وخصوصاً أن الشعب والقضية يعيشان حالة صعبة، ويواجهان اختباراً استثنائياً. وطبعاً من شأن الاختبارات الاستثنائية أن تنتج أسئلة وأجوبة استثنائية. من الواضح أن غياب المؤسسة يدفع جيلاً في "فتح" إلى النضال من أجل استعادة الاحترام والفعالية لهذه المؤسسة، ذلك بأن غياب الروح الجماعية في التخطيط والقيادة، غياب النظام، يعني بالضرورة حضور الارتجال، وهذا أخطر شيء على الشعب وقضيته.

■ من الواضح أن ثمة داخل "فتح" تباينات في الرؤى، هل في إمكاننا تلخيص أبرز تلك التباينات؟

□ ليس هنالك خلافات جوهرية فيما يتعلق بالموقف السياسي. لدى "فتح" هدف محدد هو إقامة دولة فلسطينية مستقلة على الأراضي الفلسطينية التي احتلت في الخامس من حزيران/يونيو 1967، وإيجاد حل مقبول لموضوع اللاجئين. لا خلاف سياسياً داخل "فتح" في هذا الموضوع، لكن ما يسبب حالة الخلاف هو كيف ننفذ هذه السياسة؟ الحوار داخل "فتح" حوار جدي وحقيقي، حوار أملته الحالة الصعبة التي نعيشها. لكن الأسئلة المطروحة يجري تداولها داخل الأطر الشرعية، ونعمل على إبقاء الحوار شرعياً كي يؤتي أكله. وهنالك رغبة جدية في أن يكون هذا الحوار فاعلاً ومؤثراً، وفي أن يشكل أرضية لحوار وطني أوسع وأشمل مع جميع القوى السياسية الفلسطينية للوصول إلى برنامج التوافق الوطني العام. وجزء من هذا الحوار لا يتعلق بالبرنامج السياسي، وإنما بآليات اتخاذ القرار، حيث يجب أيضاً أن نصل عبر الحوار الداخلي إلى وضع تستعيد فيه المؤسسات الحركية هيبتها واحترامها، وتكرس مبدأ مشاركتها.

■ كيف تنظر "فتح" إلى نفسها؟ هل هي التنظيم القائد، أم الحزب الحاكم؟ وما هي حقيقة علاقتها بالقوى الأُخرى في الساحة الفلسطينية، بما فيها القوى الإسلامية؟

□ "فتح" هي التنظيم القائد والحزب الحاكم. وهذه معادلة حساسة، وأحياناً تسبب حالات التباس في الوضع الفلسطيني، وخصوصاً أن لدينا سلطة، وما زلنا نعيش حالة حركة التحرر الوطني؛ لدينا مواجهة مع الاحتلال، ولدينا سلطة لديها اتفاقات سياسية

مع الإسـرائيليين. هذا الوضـع من شـأنه أن يولّد حالة من الالتباس، لكن يمكن إعادة تنظيمه بدقة ووضـوح، بمعنى أن يحافظ تنظيم "فتح" على مسافة معقولة من السلطة كي يتميز منها، لأن التنظيم في هذه الحالة لا يكبل نفسـه بالاتفاقات. لكن عليه ألاّ يسـتخدم هذه الحرية سـوى لتقوية موقف السـلطة التفاوضـي والحفاظ على القدرة النضـالية، من أجل تحقيق الهدف السـياسـي الذي ولدت السـلطة على بسـاطه، كممثل قانوني إلى جانب منظمة التحرير الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني.

أمّا فيما عنى علاقة "فتح" بالقوى الأُخرى، فهنالك طرح تاريخي يتعلق بمسـألة الوحدة الوطنية. وهذا الطرح كان لدى الجميع أقرب إلى ما يشـبه الأغنية التي يتغنى بها الجميع من دون العمل بما فيه الكفاية لتحويل هذه الحالة من حالة شـعاراتية إلى حالة عملية، تحدد واجبات الجميع وحقوقهم ومسـؤولياتهم، وتحقق التوافق الوطني. أنا أؤمن بوجوب انتقال الحوار الوطني من الحالة الفولكلورية السـابقة، التي تبيح قول كل ما هو جميل عن الوحدة الوطنية، وفي المقابل الاحتفاظ بالبرنامج الخاص، إلى مرحلة أُخرى يقول فيها الجميع ما يريد في حوار جدي، للوصـول إلى برنامج حد أدنى توافقي، يشـارك فيه الجميع، ويلتزمه الجميع. والحوار الوطني، في ظل الوضـع القائم، يجب أن يكون قراراً لدى كل تنظيم وحزب وقوة سياسية. وهناك مسألة مهمة في هذا السـياق، هي أن الفلسـطينيين هم الأقدر على تحديد المهمات. ويحضـرني هنا ما قاله النـائب الأردني ليث شـبيلات عندما سـئل: ماذا تقول للفلسـطينيين؟ فأجاب: إن الفلسـطينيين يناضـلون ويعملون، وأنا لا أسـتطيع أن أسـدي إليهم النصـح، وهم من يمكنهم أن يطلبوا منا إبداء الرأي إن أرادوا. وخلال العامين السـابقين من الانتفاضـة لاحظنا بوضـوح أن الإعلام العربي يتعامل مع الحالة الفلسـطينية كحالة عاطفية نضالية مطلوب ديمومتها لاستنهاض الروح العربية. لكن إلى جانب هذا الاستنهاض، لا بد من سـياسـة عربية داعمة للانتفاضـة دعماً حقيقياً. الاشـتياق العربي إلى حالة نضالية أوجد بدوره حالة تدعو الفلسطيني إلى الاستمرار في النضال. كما بدا أن جزءاً من الخطاب العربي فيه نوع من أنواع الإرشـاد والنصـيحة لمن هم في خندق الموت والمواجهة. وعلينا مراجعة هذا الأمر، سياسياً وخلقياً، لأن من يده في النار لا يمكن أن يظل يسـمع من شـقيقه مجموعة من النصـائح فقط، بأن عليه أن يسـتمر في الحرب وكيف. نحن نريد من العالم العربي وقفة سـياسـية وفقاً لحدود إمكاناته، ولا نطلب ما هو أكثر من ذلك. في العامين الماضيين توهم بعض الفلسطينيين أن الانتفاضة يمكن أن تغير وجه العالم العربي، وكان ذلك وهماً كبيراً.

■ كيف ترون موقع الحركة الإسلامية في الساحة الفلسطينية، وخصوصاً أنها تمارس أنماطاً من المقاومة المسلحة تُدخل المجتمع الفلسطيني برمته في معركة غير متكافئة مع الإسرائيليين؟ وخلال العامين الفائتين تمكنت القوى الإسلامية من جر الوضع الفلسطيني برمته إلى موقع ترغب هي فيه وتخطط له مسبقاً. ما هو موقعها الحقيقي في الساحة الفلسطينية، ولا سيما أنها غير مشاركة في السلطة، ولا في منظمة التحرير؟

□ هذا محور مهم جداً. كانت الشراكة مطروحة دوماً، سواء في إطار السلطة أو في إطار المنظمة. وكان هنالك تمنّع ورفض متواصل من قبل القوى الإسلامية من حيث المبدأ. ومهما تكن الأسباب التي قام عليها هذا التمنّع فهي غير مقبولة، ذلك بأن الأصل هو المشاركة، وتحمل كل طرف أصيل مسؤوليته في الوضع العام. لكن يبدو أن عدم المشاركة هو سياسة اعتُمدت في الحركة الإسلامية لمحاولة إيجاد استقلالية وتميّز. وهذا مقبول فيما إذا توافق الجميع على سياسة واحدة، وخصوصاً أننا على أرض واحدة، ونعمل ضمن ظروف واحدة. في الانتفاضة الأولى، كانت القوى الوطنية كلها تصدر بيانات بتوقيع القيادة الوطنية الموحدة، بينما آثرت حماس إصدار بيانات مستقلة وفقاً لروزنامة الشهر القمري، وهنا يبدو التمايز شكلياً. هذه العقلية لا تفيد استراتيجيا الشعب الفلسطيني. حماس والجهاد قوتان أصيلتان، لهما عمقهما الاستراتيجي، وستكونان في موقع الفعالية أكثر فيما لو انضوتا تحت مظلة الشراكة مع بقية فصائل العمل الوطني في منظمة التحرير، والتفاهم مع السلطة. حالة الاستقلالية دفعت الإخوة في القوى الإسلامية إلى أن يعتمدوا سياسة خاصة بهم، الأمر الذي أنتج سياسات متعددة على الأرض، وحشر الموضوع الفلسطيني في الزاوية. لا يجوز أن نتعاطى بعاطفية وبعيداً عن حسابات المصلحة العامة عند اعتمادنا أسلوباً نضالياً معيناً، كالعمليات داخل إسرائيل. وأريد أن أقول هنا إن من حق المقهورين أن يفعلوا أي شيء لمواجهة القهر الواقع عليهم، لكن الحق وحده لا يكفي لتقرير السياسة. وعليه، فإذا تبدّى أن مضار أسلوب نضالي ما أكثر من منافعه، يجب عدم مناقشته على أساس هل هو حلال أم حرام، حق أم باطل، وإنما يجب مناقشته سياسياً، من حيث المضار والمنافع. وقد برزت دعوات واسعة في الساحة الفلسطينية تم التعامل معها بشكل عاطفي لا يخلو من المزايدات. جوهر الموضوع، عند اعتماد أي أسلوب كفاحي، يكمن في كيفية تجنيب شعبنا خسائر أكبر من المكاسب التي يحققها في نضاله. وهنا أود أن أقول متسائلاً: ألم تتسبب العمليات التي جرت في الداخل بخسائر فادحة للفلسطينيين، سواء على صعيد التضامن الدولي مع قضيتنا، أو على صعيد التغطية على الانحياز الأميركي إلى إسرائيل، وبالتالي الصمت عن مجازر

ترتكب بحق الشعب الفلسطيني؟ علينا إعادة النظر في وسائلنا النضالية بما يضمن بقاء صورة الكفاح الفلسطيني مقنعة ومفهومة دولياً. وفيما يتعلق بتوقيت العمليات التفجيرية داخل إسرائيل، أريد أن أتساءل: لماذا عندما كان الجنرال أنتوني زيني يأتي إلى المنطقة كنا نستقبله بعمليات، وعندما يكون شارون مجتمعاً مع بوش نودعه بعمليات، ما الذي يعنيه ذلك؟ كان شارون يجد الأرضية الملائمة لجمع كل التجمعات اليهودية في أميركا من أجل إيجاد أفضل جو لتبني رواية إسرائيل كاملة، وتوليد حالة تحالفية تأخذ أحياناً بعداً سياسياً وأيديولوجياً لتغطية الموقف الإسرائيلي. والسؤال هنا: متى سيخضع عملنا النضالي لميزان الربح والخسارة، ولميزان المصلحة الوطنية؟

■ **تمكن المجلس التشريعي من دفع الحكومة إلى الاستقالة خوفاً من نتيجة التصويت على الثقة بها. ما هي الرسالة السياسية والتنظيمية التي حملتها قضية الحجب: هل هي تعبير عن خلافات داخل "فتح"؟ هل هي وجه من أوجه الصراع ما بين السلطتين التشريعية والتنفيذية؟ هل هي جزء من خطة إصلاح مقبلة؟**

□ باختصار، هي استعادة المجلس التشريعي لدوره كبرلمان، وهي استعمال لأداة برلمانية. هل هي شكل من أشكال الصراع بين السلطتين التشريعية والتنفيذية؟ الجواب نعم، وأعتقد أن ما قام به المجلس التشريعي، ولكثير من الأسباب، هو تعبير عن رغبته في إثبات حضوره السياسي كمؤسسة، وهذا فيه مصلحة وطنية للشعب الفلسطيني. قلنا للسيد الرئيس: نحن نحبك، لكننا لا نحب حكومتك. نحن نريد استعادة دور المجلس التشريعي كشريك ولن نطلب إذناً في ذلك ما دام في نيتنا الإعلان أننا شريك. وقلنا له: إن لديك اليوم مجلساً تشريعياً أقوى، وإن "فتح" لا تزال قادرة على إيجاد نوع من الانعطافة تفتح نافذة أمل، ولو كانت صغيرة، بأن الفلسطينيين يمكنهم أن يفعلوا شيئاً في اتجاه تطوير حياتهم الداخلية؛ وهذا مكسب للجميع. وعندما سيتم تأليف حكومة جديدة، وتتقدم لنيل الثقة من المجلس التشريعي، ستكون لديك حكومة أقوى. هنالك من تحدث في هذا الموضوع كأن العمل البرلماني أمر غريب. لكن علينا أن نتطلع إلى قيمة العمل الذي يمكنه القيام به في إحداث التغييرات المطلوبة داخل الأطر الشرعية، وإعطاء القدرة على التجدد والتحرك بعيداً عن التكلس والجمود.

■ **برزت في الأسبوع الفائت أشكال من الكفاح الوطني السلمي: منها خروج الناس إلى الشوارع لكسر حالة منع التجول المفروضة من قبل قوات الاحتلال الإسرائيلي؛ ومنها الخروج ليلاً وقرع "الطناجر" وغيرها كمظهر احتجاجي؛ ومنها مسيرة الشموع. في رأيك، إلى أي مدى ستكون هذه الأساليب مجدية، وهل في إمكانها الاستمرار بشكلها العفوي الراهن؟**

□ الانتفاضة هي فعل طويل الأمد، وهو صعب ومنهك. لكن وجود الاحتلال، وحالة القهر التي يفرضها على المجتمع المدني، وتطلع الشعب إلى الحرية والاستقلال، من شأنها جعل الانتفاضة شيئاً قائماً بصورة مستمرة. وأعتقد أن الهبّة الشعبية، بالحجم الذي شاهدناه، جاءت لكسر عدة أمور: كسر الصمت والطوق ومنع التجول، وكسر القهر والشعور بالوحدة، وإيضاح أن الفلسطينيين لا يقبلون الاعتداء على قيادتهم، سواء كانوا مختلفين معها أو متفقين معها. ليلة الهبّة كان هناك مشهد اغتيال منصوب في المقاطعة، ومهلة بالدقائق لتدمير آخر مبنى في المقاطعة على رؤوس من فيه. الهبّة هي تعبير أصيل، وقد بلّغت كل من يهمه الأمر رسالة واضحة بأن الشعب الفلسطيني يرفض الاحتلال وهو مستعد للمواجهة. كيف يمكن لهذه الهبّة أن تستمر؟ بالضرورة عبر الأساليب ذاتها. قد يستمر ذلك فترة من الزمن، وبعدها سيكون مطلوباً أساليب أكثر عنفاً، وعلينا استخدام وسائلنا النضالية كافة، وبقدر الإمكان، بما يضمن دفعنا خطوة إلى الأمام في اتجاه تحقيق أهدافنا. ■

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: majallat@palestine-studies.org
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:
http://www.palestine-studies.org/ar/mdf